

سُرْبَاءُ الْفِعْلِ لِلْمَفْعُولِ فِي وَصْفِ النَّارِ:

البالغة في
الإنذار زيادة في
الترهيب والتنفير

بِنَاءُ فِعْلٍ ﴿أُعِدَّتْ﴾ لِلْمَفْعُولِ؛ لزيادة الترهيب والمبالغة في الإنذار⁽¹⁾، وفيه تنفير من النار وما يُوقَع فيها، بأنّها معدودة للكافرين، وتحذير المسلمين من مشاركتهم؛ إذ المسلمون لا يَرْضُونَ بمشاركة الكافرين؛ لأنّ الإسلام الحقّ يُوجِب كراهية ما ينشأ عن الكُفْر، وذاك تعريض واضح في الوعيد على أخذ الربّ، ومقابل هذا التنفير: التّغريب في قوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]⁽²⁾.

فائدة التعبير بالفعل الماضي:

إثبات خلق النار
وأنّها موجودة
الآن

وفي قوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ إخبار عن الماضي، فلا بدّ أن يكون قد دَخَلَ ذلك الشّيء في الوجود، فالنّار مخلوقة وموجودة الآن⁽³⁾.

فائدة عطف طاعة الرّسول ﷺ على طاعة الله سبحانه وتعالى:

بيان أنّ طاعة
النّبي ﷺ طاعة
لله تعالى

فإنّ طاعة الرّسول طاعة الله، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80]، فإنّ طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة⁽⁴⁾، فذكر الرّسول زيادة في التّبيين والتّأكيد والتّعريف بأنّ طاعته طاعة الله، وفي قرن طاعة الرّسول صلوات الله عليه بطاعة الله تشريفاً لنبيه⁽⁵⁾ لقدره وهذه الآية هي ابتداء المعاتبة في أمر أحد، وإنهزام من قرّ، وزوال الرّمة من مركزهم، وقيل: صيغتها الأمر، ومعناها: العتب على المؤمنين فيما جرى منهم من أكل الربّ، والمخالفة يوم أحد⁽⁶⁾.

(1) الدبل، دليل البلاغة القرآنية، ص: 542.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/88.

(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/364.

(4) الخازن: لباب التأويل: 1/296.

(5) القشيري، لطائف الإشارات: 1/277.

(6) أبو حنّان، البحر المحيط: 3/341.

دلالة العطف بالوعد بعد الوعيد:

ف ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أي: لكي تُرحموا ولا تتعذبوا؛ إذا أطعتم الله ورسوله، فلَمَّا ذَكَرَ الْوَعِيدَ؛ ذَكَرَ الْوَعْدَ بَعْدَهُ عَلَى مَا هُوَ الْعَادَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ فِي الْقُرْآنِ⁽¹⁾؛ تنشيطاً للنفوس للنُّهُوضِ بِامْتِثَالِ الْأَمْرِ كَمَا نَهَضَتْ لِاجْتِنَابِ النَّوَاهِي وَالزَّوَاجِزِ، فَاتَّبَعَ الْوَعِيدَ بِالْوَعْدِ تَرْهِيْبًا عَنِ الْمَخَالَفَةِ، وَتَرْغِيْبًا فِي الطَّاعَةِ، وَإِيرَادُ لَعَلَّ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِلإِشْعَارِ بِعِزَّةِ مَنْالِ الْفَلَاحِ وَالرَّحْمَةِ⁽²⁾.

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

الطَّاعَةُ وَالْعِبَادَةُ:

الطَّاعَةُ: الانقياد، وهي الفعلُ الواقعُ على حسب ما أَرَادَهُ الْمُرِيدُ، يُقَالُ: طَاعَهُ يَطُوعُهُ؛ إِذَا انْقَادَ مَعَهُ، وَمَضَى لِأَمْرِهِ، وَأَكْثَرُ مَا تَقَالُ فِي الْإِثْمَارِ لِمَا أُمِرَ، وَالْإِرْتِسَامِ فِيْمَا رُسِمَ، وَتَكُونُ لِلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ⁽³⁾.
والعبادة: هي غاية الذُّلِّ والخضوع مع المحبة والتَّعْظِيمِ، وَلَا تُسْتَحَقُّ إِلَّا بِغَايَةِ الْإِنْعَامِ، وَلِهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْبَدَ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا تَكُونُ الْعِبَادَةُ إِلَّا مَعَ الْمَعْرِفَةِ بِالْمَعْبُودِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلْخَالِقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾⁽⁴⁾، فَجَعَلَ الْعِبَادَةَ وَالنَّقْوَى لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَجَعَلَ الطَّاعَةَ لِلرَّسُولِ⁽⁴⁾.

فَالطَّاعَةُ: هِيَ مَجَرَّدُ الْمَوَافَقَةِ لِلْأَمْرِ، وَهِيَ أَعْمُ مِنَ الْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ غَلَبَ اسْتِعْمَالُهَا فِي تَعْظِيمِ اللَّهِ غَايَةَ التَّعْظِيمِ⁽⁵⁾.

التَّنبِيْهِ إِلَى
عَادَةِ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ فِي ذِكْرِ
الْوَعْدِ بَعْدَ
الْوَعِيدِ تَنْشِيْطًا
لِلنَّفُوسِ

الطَّاعَةُ مُطْلَقٌ
الْإِنْقِيَادُ،
وَالْعِبَادَةُ
الْخُضُوعُ لِلَّهِ
تَعَالَى مُحَبَّةً
وَتَعْظِيْمًا

(1) الزَّازِي، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 9/364.

(2) أَبُو السَّعُودِ، إِشَادَةُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 2/85.

(3) الرَّائِغُ، الْمَفْرَدَاتُ، وَابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (طُوعَ)، وَالْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ، ص: 221.

(4) ابْنُ تَيْمِيَّةَ، مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى: 3/108.

(5) الْكَفَوِيُّ، الْكَلْبَاتُ، ص: 583.

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران 133]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

فضل المسارعة
إلى مغفرة الله
وجنته

بعد أن حذّر الله من الرّبا الذي هو مؤذّن بحرب من الله ورسوله، ونهى عمّا يمنع النّصر؛ بالنّهي عن الرّبا المراد بالنّهي عنه الصّرف عن مُطلق الإقبال على الدُّنيا، وأمر بالتّقوى التي هي سلاح في مقاومة الأعداء؛ أمر الله المؤمنين بالمسارعة إلى مغفرة منه تعالى، وإلى جنّة عرضها السّماوات والأرض، أعدّها الله للمتّقين من عباده⁽¹⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَسَارِعُوا﴾: جذر الكلمة (سَرَعَ)، وهو أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْبُطْءِ، فالسُّرعة في أصل اللّغة: خلاف البُطء، أو ضُدهُ، وتستعمل في الأجسام، والأفعال، يقال: سَرَعَ، فهو سَرِيعٌ، وأسْرَعَ فهو مُسْرِعٌ، وأسْرَعُوا، وكلُّ ما في القرآن من التركيب هو بمعنى السرعة التي ضدّ البُطء⁽²⁾. ويمكن بيان معنى المسارعة بأنّها: المبادرة لإدراك مطلوب، خوف فوات شيء، كالموت ونحوه، بحيث لا يشغله شيء عن الشيء المطلوب له.

(2) ﴿مَغْفِرَةٍ﴾: جذر الكلمة (غَفَرَ)، والغَفَر في أصل اللّغة بمعنى: السّتر والتّغطية، وهو: إلباس ما يصونه عن الدّنس، ومغفرة الله هي: أن يصون العبد من أن يمسه العذاب، وكلُّ ما جاء في القرآن من التركيب هو من مغفرة الذنوب، وأمّا قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/70.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، العجم الاشتقاقي: (سرع).

يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴿[الجاثية: 14]﴾ فهو التجافي عن الذنب في الظاهر، وإن لم يُتجاف عنه في الباطن، وإنما أدب الإسلام هنا هو أن نَغْفِرَ لهم طاعةً لله تعالى، دون أن نلْقِيَ إليهم بالموذَّة⁽¹⁾.

(3) ﴿أَعِدَّتْ﴾: جذر الكلمة (عَدَدَ)، وهو لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَدِّ الَّذِي هُوَ الْإِحْصَاءُ، وَإِمَّا مِنَ الْإِعْدَادِ الَّذِي هُوَ تَهَيُّةُ الشَّيْءِ، وَإِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ تَرْجِعُ فُرُوعُ مَعَانِي الْجَذْرِ كُلِّهِ، وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْفِعْلِ (أَعَدَّ) مُسْنَدًا لِلْفَاعِلِ أَوْ لِلْمَفْعُولِ، وَكَلِمَةُ (عُدَّةٌ) فَهُوَ مِنَ الْإِعْدَادِ بِمَعْنَى: الْإِحْضَارِ وَالتَّهَيُّةِ، وَجَعَلَ الشَّيْءَ مَتَاحًا، وَمِنْهُ آيَةُ الْكَرِيمَةِ. وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ مَفْرَدَاتِ هَذَا التَّرْكِيبِ الْقُرْآنِيَةِ فَهُوَ مِنْ مَعْنَى الْعَدِّ، الَّذِي هُوَ بَيَانُ كَمِّ الشَّيْءِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ﴿[الهمزة: 2]﴾⁽²⁾.

(4) ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: جذر الكلمة (وَقَى)، وتَدُلُّ عَلَى دَفْعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بغيره، وَكَلِمَةُ التَّقْوَى فِي اللُّغَةِ تَفِيدُ مَا يَبْقَى الشَّيْءُ وَالْحِفْظُ وَالصِّيَانَةُ، وَلِلتَّقْوَى فِي الْإِسْلَامِ مَعَانِي شَرَعِيَّةٌ وَتَعْرِيفَاتٌ كَثِيرَةٌ، كُلُّهَا تَدُورُ عَلَى تَرْكِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَهِيَ صِفَةٌ فِي النَّفْسِ تَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى فِعْلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالْإِمْتِنَاعِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ، وَيَتِمُّ ذَلِكَ بِتَرْكِ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ، بِحَيْثُ إِنَّ الْمُتَّقِيَّ هُوَ الَّذِي يَبْقَى نَفْسُهُ أَنْ يَتَعَاطَى مَا تُوعَدُ عَلَيْهِ بِعُقُوبَةٍ مِنْ فِعْلِ أَوْ تَرْكِ⁽³⁾.

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

بادرُوا، وَسَابِقُوا إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ؛ لِنَتَالُوا مَغْفِرَةً عَظِيمَةً مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَتَدْخُلُوا جَنَّةَ سَعَتِهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - وَخَصَّ تَعَالَى الْعَرَضَ بِالذِّكْرِ، لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى عَظَمَتِهَا وَاتِّسَاعِ طَوْلِهَا، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَرْضُهَا كَهَذَا، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَذْهَبُ كُلُّ مَذْهَبٍ فِي تَصَوُّرِ طَوْلِهَا، هَيَّأَهَا اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ⁽⁴⁾.

عَنْ عَطَاءٍ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: بَنُو إِسْرَائِيلَ كَانُوا أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَّا؛ كَانُوا

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، للعجم الاشتقاقي: (غفر).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، وجبل، للعجم الاشتقاقي (عدد).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (وقي)، والجرجاني، التعريفات، ص: 65، والنواوي، التوقيف، ص: 106، وأبو

حيان، البحر للحيط: 1/64.

(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 2/261، ونخبة من العلماء، التفسير اليسر، ص: 67.

إذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه في عتبة بابه مكتوبة: اجدع أذنك، افعل كذا، فسكت النبي ﷺ؛ فنزل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾؛ فقال النبي ﷺ: "ألا أدلكم؟ ألا أخبركم بخير من ذلكم؟"؛ فقرأ هذه الآيات⁽¹⁾.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلغة الوصل في الآية:

مآل الأمر
بالمسارعة إلى
المغفرة والجنة؛
الأمر بالأعمال
الصالحة

والواو في قوله: ﴿وَسَارِعُوا﴾ هي واو العطف، والجملة معطوفة على قوله: ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [آل عمران: 132]. ووجه جواز عطف الجملة على جملة الأمر بالطاعة؛ كون الأمر بالمسارعة إلى المغفرة والجنة يؤول إلى الأمر بالأعمال الصالحة، فالعطف - وهو قراءة الجمهور بحسب ما سيأتي بيانه - في هذه الآية يُبَيِّنُ بأنّه يجوز الفصل والوصل في بعض الجمل باعتبارين⁽²⁾.

بلغة الفصل في قراءة حذف واو العطف:

وجه ترك
العطف كمال
الاتصال؛
لأن طاعة
الله والرسول
مسارعة إلى
المغفرة والجنة

قرأ نافع وابن عامر وأبوجعفر: ﴿سَارِعُوا﴾ بغير واو، وهي كذلك في مصاحف أهل المدينة والشَّام، وقرأ باقي العشرة بالواو؛ على أنّه عطف جملة على جملة، أمّا من ترك الواو؛ فلأنّ الجملة الثَّانية مُتَلَبِّسَةٌ بالأولى، مستغنية بذلك عن العطف بالواو⁽³⁾، أي: أنّ المسارعة إلى المغفرة مُتَضَمِّنَةٌ في الطَّاعة، فترك العطف لكمال الاتصال للبدليّة أو التَّوكيد.

من هنا فإنّ وجه قراءة ترك الواو الاستئناف، أي: بادروا وأقبلوا؛ بتنزيل جملة ﴿سَارِعُوا﴾ منزلة البيان، أو بدل الاشتمال، لجملة:

(1) ابن جرير، جامع البيان: 2/62، وابن حجر، العجَاب: 2/754.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/88.

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 2/4، وابن الجزري، النشر: 2/242، ولسؤفها مساق آية سورة الحديد،

فإنها ﴿سَارِعُوا﴾ [الحديد: 21] من غير واو.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: 132]؛ لأن طاعة الله والرسول مسارعةً إلى المغفرة والجنة فلذلك فُصِّلَتْ⁽¹⁾. فكأنَّ قوله: ﴿سَارِعُوا﴾، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: 132] جُعِلَا كالشيء الواحد؛ فأُسْقِطَ العاطفُ، ولقُرِبَ كل واحد منها من الآخر في المعنى⁽²⁾.

وتوجَّه قراءة نافع وابن عامر وأبوجعفر بحذف الواو على تنزيل الجملة منزلة جواب سؤال مقدَّر: كَأَنَّ سَائِلًا سأل، فقال: كيف نطيع الله والرسول طاعة توجب لنا رحمة الله كرمًا منه وفضلًا؟ فأجيب: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية.

بلادة الإيجاز بالحذف:

عَدَلَ إلى الحذف في الكلام مستغنيًا بالمذكور، والمعنى: وسارعوا إلى ما يوجب مغفرة من ربكم. ولا شك أن الموجب للمغفرة ليس إلا فعل المأمورات وترك المنهيات، فكان هذا أمرًا بالمسارعة إلى إتيان المأمورات واجتناب المنهيات⁽³⁾.

سرُّ التعبير بصيغة المفاعلة ﴿وَسَارِعُوا﴾:

وصيغة: ﴿وَسَارِعُوا﴾ صيغة مفاعلة، وتدلُّ على المشاركة، وهي تعني: اشتراك طرفي المفاعلة في معنى الفاعلية، فيكون البادئ: فاعلاً صريحاً، والثاني: مفعولاً صريحاً، ويجيء العكس ضمناً، أي: أنَّ الغرض من ألف المفاعلة: اقتسام الفاعلية والمفعولية في اللفظ، والاشتراك فيهما من حيث المعنى، كما أنَّها تدلُّ على المبالغة والتكثير، فتفيد "المبالغة في طلب الإسراع، والعرب تأتي بما يدلُّ في الوضع على تكرار الفعل وهم يريدون التأكيد والمبالغة دون التكرير"⁽⁴⁾.

قراءة ترك الواو
تنزيل الجملة
منزلة جواب
سؤال مقدَّر

الموجب للمغفرة
فعل المأمورات
ومجانبة
المنهيات

تدلُّ صيغة
المفاعلة
على المبالغة
والتكثير، فتفيد
المبالغة في
الإسراع

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/85، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/88.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 9/364.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 9/365.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/89.

إِثَارَ لَفْظِ ﴿وَسَارِعُوا﴾ عَلَى لَفْظِ (أَسْرِعُوا)؛ إِمَّاخٌ بِالتَّنَافُسِ بَيْنَ النَّاسِ:

وَأَثَرَ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿وَسَارِعُوا﴾، دُونَ: (وَأَسْرِعُوا)، وَكَأَنَّ النَّاسَ يُسْرِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ؛ لِيَصِلَ قَبْلَ غَيْرِهِ، فَإِنَّ مَسَابَقَةَ النَّاسِ، وَالتَّنَافُسَ بَيْنَهُمْ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ أَمْرٌ مَشْرُوعٌ، وَهُوَ يَحْفَظُ النَّاسَ عَلَى السُّرْعَةِ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ.

التَّعْبِيرُ بِالسَّارِعَةِ بَيْنَ الْمَجَازِ وَالْحَقِيقَةِ:

وجه المجاز
المبادرة والحرص
على المنافسة،
وجه الحقيقة
سرعة الامتثال

السُّرْعَةُ الْمَشْتَقَّةُ مِنْهَا ﴿وَسَارِعُوا﴾ مَجَازٌ فِي الْحِرْصِ وَالْمُنَافَسَةِ إِلَى عَمَلِ الطَّاعَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْمَغْفَرَةِ وَالْجَنَّةِ، وَالْفُورِ إِلَى عَمَلِ الطَّاعَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْمَغْفَرَةِ وَالْجَنَّةِ، أَوْ ذِكْرِ الْمَغْفَرَةِ وَهِيَ الْمُسَبِّبُ، وَأَرَادَ التَّوْبَةَ وَهِيَ السَّبَبُ فِي الْمَغْفَرَةِ؛ فَهُوَ مَجَازٌ مَرْسَلٌ عِلَاقَتُهُ الْمُسَبِّبِيَّةُ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ السَّرْعَةُ حَقِيقَةً، وَهِيَ سُرْعَةُ الْخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ عِنْدَ النَّفِيرِ كَقَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ: "وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَانْفَرُوا"⁽¹⁾.

عَلَّةُ إِثَارِ الْمَسَارِعَةِ عَلَى الْمَسَابَقَةِ:

المُسَارِعَةُ تَقْبَلُ
التَّشَارُكَ
وَالنَّوَاطِئُ
وَالْأَتْفَاقُ، وَلَا
تَسْتَلْزِمُ مَضْمَارًا
بِخِلَافِ الْمَسَابَقَةِ

الظَّاهِرُ بَدَاهَةُ أَنَّ الْأَمْرَ بِكُلِّ مَنْ (الْمُسَارِعَةِ)، وَ(الْمَسَابَقَةِ) اسْتِحْثَاتٌ عَلَى الْهَمَّةِ الْفَاعِلَةِ الْمُؤَثِّرَةِ حَرَثًا وَإِنْتِجَا، بَيِّدَ أَنَّ (الْمُسَارِعَةَ) تَقْبَلُ التَّشَارُكَ وَالتَّوَاطُؤَ وَالْأَتْفَاقَ، أَمَّا (الْمَسَابَقَةُ)؛ فَلَا تَقْبَلُ، وَالْأَوَّلَى لَا تَسْتَشْعِرُ مَضْمَارًا وَلَا تَسْتَلْزِمُهُ، بِخِلَافِ الثَّانِيَةِ.

نَكْتَةُ الْاِقْتِصَارِ عَلَى لَفْظِ الْمَغْفَرَةِ:

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَى مَغْفَرَةٍ﴾، أَيُّ مَا يُوَدِّي إِلَى مَغْفَرَةٍ. وَفِي الْمَرَادِ بِالْمَغْفَرَةِ أَقْوَالٌ، وَهِيَ: الْإِخْلَاصُ، أَوْ آدَاءُ الْفَرَائِضِ، أَوْ الْإِسْلَامُ، أَوْ التَّكْبِيرَةُ الْأَوَّلَى مِنَ الصَّلَاةِ، أَوْ الطَّاعَةِ، أَوْ الْهَجْرَةِ، أَوْ الْجِهَادِ، أَوْ الصَّلَوَاتِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/88، والإندونيسى، الشامل في بلاغة القرآن: 194، والحديث عند البخاري برقم: (2783).

إِثَارُ الْمَغْفِرَةِ
مِرَاعَاةٌ لِمَعْنَاهَا
فِي جَمِيعِ
الْخِصَالِ مِنْ
أَرْكَانِ وَوَجِبَاتِ،
وَمَأْمُورَاتِ

فِي تَنْكِيرٍ لَفْظِي
لِلْمَغْفِرَةِ،
وَالْجَنَّةِ، تَعْظِيمٌ
لِلشَّأْنِ، وَبَيَانٌ
لِلْفَخَامَةِ

التَّعْبِيرُ
بـ (المَغْفِرَةِ) دُونَ
(الْغُفْرَانِ) مِنْ
بَابِ التَّنْبِيهِ
بِالْأَدْنَى عَلَى
الْأَعْلَى

وَصَفُّ الرُّبُوبِيَّةِ
عَنْوَانُ اللَّطْفِ،
وَالتَّكْرِيمِ،
وَالرَّعَايَةِ

الخمس⁽¹⁾. والظاهر أنَّ من اقتصر على خصلة راعى معنى لها في جميع الخصال من أركان وواجبات، ومأمورات إمَّا أنَّها شرط في صحتها أو قبولها، أو أنَّها دالَّةٌ عليها باعتبار أنَّها مقدِّمة لها تستدعيها تالية، أو خاتمة لها تقتضيها متقدِّمة، أو كواسطة العقد منها، فتستصحب ما قبلها وما بعدها.

فائدة تنكير لفظي: المغفرة، والجنة:

في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾، ذكر لفظ المغفرة منكرًا، والمراد منه المغفرة العظيمة المتناهية في العظيم وذلك هو المغفرة الحاصلة بسبب الإسلام⁽²⁾. وتنكير لفظ الجنة؛ لبيان فخامة شأنها⁽³⁾.

نكتة إثارة لفظ (المغفرة) على (الغفران):

عدل عن استعمال المصدر الدال على التكرير (غُفران) على وزن (فُعْلان) فلم يقل: (إلى غفران من ربكم)؛ وآثر جنس المغفرة المفرد، ليعمَّ قليل السيئات وكثيرها، فهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى؛ لأنهم إذا أمروا بالمسارعة إلى تحصيل قليل المغفرة فهو مأمور بالمسارعة إلى ما يجعل كثيرها من باب أخرى⁽⁴⁾.

سرُّ اصطفاء لفظ الرُّبُوبِيَّةِ دُونَ الْأُلُوهِيَّةِ:

التَّعَرُّضُ لعنوان الرُّبُوبِيَّةِ بقوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مع إضافته إلى ضمير المخاطبين؛ لإظهار مزيد من اللُّطف بهم⁽⁵⁾، والتَّكْرِيمُ لهم، والرَّعَايَةُ.

توجيه عطف الجنة على المغفرة:

جمع تعالى بين المغفرة والجنة في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/415.

(2) الزاوي، مفاتيح الغيب: 9/365.

(3) الدبل، دليل البلاغة القرآنية: 1/545.

(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/410.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/85.

علة الجمع بين
الجنة والمغفرة
الإشعار بوجود
تحصيل المكلف
للأمرين

من عادات
القرآن تقديم
التخليّة على
التحلية

بيان الوصف
بالعرض المبالغة
في وصف سعة
الجنة

عبّر بـ (العرض)
وهو الأدنى حالا
استعظّاماً؛
باستحضار شأن
الأعظم

مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ، للإشعار بالتغاير بينهما؛ لأنَّ المغفرة: هي إزالة العقاب، والجنة: هي حصول الثواب، فجمع بينهما للإشعار بأنَّه لا بدَّ للمكلف من تحصيل الأمرين، فكما تجب المسارعة إلى المغفرة فكذلك تجب المسارعة إلى الجنة⁽¹⁾.

نكتة تقديم المغفرة على الجنة:

وتقديم ذكر المغفرة على ذكر الجنة؛ لأنَّ التَّخْلِيَةَ مقدِّمة على التَّحْلِيَةِ⁽²⁾. وهو من تقديم السَّبَب على مآله، فإنَّ مؤدَّى غفران ربِّ العزَّة جلَّ وعزَّ جنةٌ عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

براعة اصطفاء لفظ (العرض) وصفاً للجنة:

فُصِّدَ إلى اصطفاء لفظ (العرض)؛ " للمبالغة في وصف سعة الجنة وذلك؛ لأنه لا شيء عندنا أعرض منهما ونظيره قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (هود: 107) فإن أطول الأشياء بقاء عندنا هو السماوات والأرض، فخطوبنا على وفق ما عرفناه، فكذا هاهنا"⁽³⁾. جار على طريقة العرب في تمثيل شدة الاتساع. وليس المراد حقيقة عرض السماوات والأرض⁽⁴⁾.

لما كان من الظاهر أنَّ الطول يكون أوسع من العرض عبّر بالأدنى حالا استعظّاماً؛ باستحضار شأن الأعظم، واستظهاره. وكأنَّ لسان الحال: إذا كان العرض هكذا فكيف بالطول؟! ونظيره قوله: ﴿بَطَّأْنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ (الرحمن: 54) وإنما ذكر البطائن لأن من المعلوم أنها تكون أقل حالا من الظهارة، فإذا كانت البطانة هكذا فكيف الظهارة؟ فكذا هاهنا⁽⁵⁾.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 9/365، والقنوجي، فتح البيان: 2/331.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/85.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 9/365.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/89.

(5) الرازي، مفاتيح الغيب: 9/366.

ليس المراد بالعرض هاهنا ما هو خلاف الطول، بل هو عبارة عن السعة كما تقول العرب: بلاد عريضة، ويقال هذه دعوى عريضة، أي واسعة عظيمة، فإن من عادة العرب التعبير عن الشيء الواسع بالعريض، كقوله تعالى: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾ [فصلت: 51]. والأصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق، وما ضاق عرضه دق، فجعل العرض كناية عن السعة⁽¹⁾. والرحابة، والبسطة، وعظم المساحة؛ فهي غاية في السعة لا يعلمها إلا الله تعالى.

في الوصف
بالعرض وجه
كناية لزمها
السعة،
والرحابة،
والبسطة

فأما وصف الجنة بأن عرضها السماوات فمعلوم أن ذلك ليس بحقيقة لأن نفس السماوات لا تكون عرضاً للجنة، فالمراد كعرض السماوات والأرض وهاهنا سؤالات⁽²⁾. ووصف الجنة بأن عرضها السماوات والأرض على طريقة التشبيه البليغ، بدليل التصريح بحرف التشبيه في نظيرتها في آية سورة الحديد: ﴿سَاقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: 21]⁽³⁾. وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سماوات وسبع أرضين لو وُصل بعضها ببعض⁽⁴⁾.

في الوصف
بالعرض تشبيه
بليغ؛ دليله آية
سورة الحديد

جاء في الجدول: " اشتملت هذه الآية الكريمة على فن جليل القدر وهو التنكيت في التشبيه، وحده أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسد مسده لأجل نكته، وإذا وقع في التشبيه فقد بلغ الغاية، وهو هنا في قوله تعالى ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ والمراد كعرض السماوات والأرض والعرض أقصر الامتدادين، وفي ذكره دون ذكر الطول مبالغة، وزاد في المبالغة بحذف أداة التشبيه وتقدير المضاف"⁽⁵⁾.

في الوصف
بالعرض فن
التنكيت

(1) الزاوي، مفاتيح الغيب: 9/366.

(2) الزاوي، مفاتيح الغيب: 9/365، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/38.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/89.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/85.

(5) الصافي، الجدول: 4/310، والتنكيت: هو أن يقصد المتكلم إلى كلمة أو كلام بالذكر دون غيره مما يسد مسده، لأجل نُكْتَةٍ في المذكور تُرَجِّحُ مجيئه على سواه.

بلاغة التعبير بالمبني للمفعول:

بناء الفعل (أَعَدَّ) في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ لطيِّه وبيان انقضائه، والمبني للمفعول أو لنائب الفاعل، أو لما لم يُسمَّ فاعله هو: لتجاوز ذكر أفراد ما أُعِدَّ فيها من النعيم، فإنَّه من كثرته ورفاهيته لا يوصف حسنًا وإمتاعًا، وإغناء وإرواءً، وإكرامًا وإعظامًا، وإلطافًا وإيرافًا، وقد أتحف الله به إتحافًا فسمَّاه: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: 32].

بلاغة تخصيص المتقين بأهلجنة الجنة:

التعريف في المتقين؛ للجنس، وتخصيصهم بالذكر؛ تشريف لهم؛ فهم أهل الجنة المنعمين بوارف خيراتها، ومديد نعمها.

بلاغة الفصل بالاستئناف في الفاصلة:

جملة: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ استئناف بياني؛ لأن ذكر الجنة عقب ذكر النار الموصوفة بأنها أعدت للكافرين يثير في نفوس السامعين أن يتعرفوا من الذين أعدت لهم: فإن أريد بالمتقين أكمل ما يتحقق فيه التقوى، فأعدادها لهم لأنهم أهلها الذين لا يلجون النار أصلا فضلا من الله تعالى وعدلا، فيكون مقابل قوله: ﴿وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 131]، ويكون عصاة المؤمنين غير التائبين قد أخذوا بحظ من الدارين، لمشابهة حالهم حال الفريقين عدلا من الله وفضلا، وبمقدار الاقتراب من أحدهما يكون الأخذ بنصيب منه، وأريد المتقون في الجملة فالإعداد لهم باعتبار أنهم مقدرزون من أهلها في العاقبة⁽¹⁾.

بيان التشابه اللفظي:

من المتشابه مع هذه الآية ما ورد في سورة الحديد قوله تعالى:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/90.

مفعولية البناء؛
لتجاوز ذكر أفراد
ما أُعِدَّ فيها
من النعيم،
فإنَّه من كثرته
ورفاهيته لا
يوصف حسنًا
وخيرية

تخصيص المتقين
بالذكر تشريفًا
لهم

فائدة الاستئناف
إثارة الشوق
لمعرفة الذين
أعدت لهم

﴿سَاقِفُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: 21].

التشابه
والاختلاف بين
آيتي السورتين

وقد تعرّض ابن الزُّبَيْر الغرناطِيُّ في كتابه (ملاك التَّأْوِيل)
لأوجه الاختلاف بين الآيتين على النحو الآتي:

إنَّ المسارعة إلى الشَّيْء تكون قبل مسابقتها، فقال: "فلَمَّا كانت
المسارعة والمسابقة على ما ذكر؛ ورد المتقدِّم في التَّرتيب أوَّلًا،
والمُتَأَخِّر ثانيًا؛ مراعاةً للتَّرتيب"⁽¹⁾. وهو الذي يتأَيَّد بالمعقول، كما
تأَيَّد بالمنقول: فإنَّ التَّوجيه بالمسارعة هو للكافَّة والتَّوجيه للمسابقة
هو لأولئك المسارعين، فيكون بعده؛ إذ جرَّدهم أوَّلًا له، ومرَّتهم
عليه، ثم دعاهم؛ ليسابقوا، فهذا دليل ثانٍ.

مناسبة اختيار
الفاعلين في
الموضعين مراعاةً
للتَّرتيب

وجاء بلفظ ﴿السَّمَوَاتِ﴾ جمعاً في سورة آل عمران، ولفظ
﴿السَّمَاءِ﴾ [الحديد: 21] مفرداً في سورة الحديد؛ فإنَّه في سورة آل
عمران أبلغ، فالمبالغة في التَّشبيه تكون بحذف المضاف، أو بجعل
الشَّيْء نفس الشَّيْء، أمَّا في سورة الحديد؛ فجاء التَّشبيه بأداة
التَّشبيه، وهي الكاف، فليس فيه من المبالغة ما في سورة آل عمران،
قال الغرناطِيُّ: "فلَمَّا تَضَمَّنَتْ آية آل عمران من قصد المبالغة
من هذه الجهات والقرائن التي ذكرنا ما لم تتضمَّن آية الحديد؛
ناسب ذلك جعل العرض نفس السَّمَاوَات والأرض من غير إفصاح
بالمضاف المقدَّر الذي لا بدَّ منه عند بيان المعنى على ما تقدَّم، ولَمَّا لم
يقصد في آية الحديد ذلك؛ أفصح فيها بما يعطي معنى: مثل، وهي
كاف التَّشبيه، وورد كلُّ على ما يناسب، ويلائم"⁽²⁾.

ناسب جمع
السَّماء التشبيه
البليغ، وناسب
إفراده التشبيه
بالأداة

وغاير في المعدَّ لهم الأجر في الآيتين ففي سورة آل عمران ختم

(1) ابن الزُّبَيْر، ملك التَّأْوِيل: 1/122.

(2) ابن الزُّبَيْر، ملك التَّأْوِيل: 1/124.

وجه المغايرة في
فاصلة الآيتين
بيان علو رتبة
المتقين

ب ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أمّا في سورة الحديد فختم ب ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: 21]؛ لأنّ مقام المتقين أعلى رتبة من مقام
الذين آمنوا بالله ورسله، فالمتّقون بلغوا درجة إيمانيّة عالية جعلتهم
من صفوة خلق الله؛ ولذلك كانت التّقوى شعار المؤمنين، ووصيّة الله
للخلق أجمعين، أوصى بها عباده من النّبیین والأولياء والصّالحين.
وأما التنويه بالمعدّ لهم في الآيتين؛ إذ اختير لهم تسميتهن
﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ في الأوّل، ممّا غلب على الحساب أن يكونوا أرقى عملاً،
وأزكى من التعبير ب (الذين آمنوا بالله ورسله)؛ فإنّ هذا يدفعه
صحّة النّص ودقّة التّأويل، فأما صحّة النّص؛ فقد ختمت الآيات
الأولى الأمر بالمسارعة بقوله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾، فناسبه ذكر
ما انتهوا إليه من مراتب، فيها التّرقّي في ميدان العمل: تخلّيّة
وتخلّيّة، وتنفّيّة وتزكّيّة، وصلاح سريرة، وإخلاص نجوى، وتزوّداً
للاخرة، وخير الزّاد التّقوى، وقد ختمت الآية الثانية الحاضّة على
المسابقة بالتلويح بفضل الله: ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
﴿[الحديد: 21]، ولا شك أنّ المعاملة بالفضل فوق المعاملة بالعدل؛ لأنّ
الفضل محض إكرام وإنعام، واصطفاء واجتباء، وذلك يحمل،
وأصحابه الخلاصة والرّحيق والصفوة، وفيهم - بحكم المسابقة -
من يدخلون الجنّة بغير حساب، فكان الأوفق له، والأليق به، أن يكون
جارياً على سنن التّرقّي في العطاء، والإكرام والاحتفاء.

❁ الفروق المعجميّة:

المسارعة، والعجلة:

المسارعة هي: المبادرة لإدراك مطلوب؛ خوف فوات شيء،
كالموت ونحوه، بحيث لا يشغله شيء عن الشّيء المطلوب له، وهي
أمر محمود. والعجلة هي: طلب الشّيء وتحرّيه قبل أوانه⁽¹⁾، وهي

(1) الرّغب، المفردات: (عجل).

المسارعة مبادرة
لإدراك مطلوب،
والعجلة هي
طلب الشّيء
وتحرّيه قبل
أوانه

مذمومة؛ لأنَّ السُّرعة هي: التَّقدم فيما يجوز أن يتقدَّم فيه، وهو محمود، أمَّا العجلة؛ فهي التَّقدُّم فيما لا ينبغي أن يتقدَّم فيه، وهي مذمومة، وضدُّها: الأناة، وهي محمودة⁽¹⁾.

وقال الرازي: "السرعة مخصوصة بأن يقدم ما ينبغي تقديمه، والعجلة مخصوصة بأن يقدم ما لا ينبغي تقديمه، فالمُسارعة مخصوصة بفَرْط الرغبة فيما يتعلق بالدين، لأن من رغب في الأمر، آثر الفور على التراخي، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وأيضا العجلة ليست مذمومة على الإطلاق بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه: 84)"⁽²⁾.

المُسارعة
مخصوصة بفَرْط
الرغبة فيما
يتعلق بالدين

(1) الألوسي، روح المعاني: 2/250.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 8/334.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم،

قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغاني].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 5، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-57-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 5: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغاني، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-57-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»